الجبال الشامخة واصبع الديناميت

تقوم جريدة «القبس»، بين فترة واخرى، برفض نشر مقالات معينة اكتبها وذلك لاختلاف ما تحتويه تلك المقالات من آراء او معلومات مع سياسة الجريدة وخطها العام. ويعتبر هذا الاجراء، المثير للجدل، حقا للجريدة قابلا للنقاش بصعوبة معينة.

كعادتي في مثل هذه الحالات فانني اقوم بارسال تلك المقالات الى مجموعة صغيرة مختارة من الاصدقاء كنوع من المشاركة في الراي ومناقشة ما احتوته من افكار وآراء، وما استدعى منعها بالتالي، وكثيرا ما تكون النتيجة في صالح المرسل و«بعض» المرسل اليهم.

وكرد فعل على احدى تلك المقالات الممنوعة من النشر ارسل صديق عزيز وزميل كبير، سنا ومكانة، رسالة فاكس تعليقا على احدى تلك المقالات، وقد سببت لي تلك الرسالة الكثير من الالم، حيث لامني على اصراري على مناطحة الخطوب وتشبثي بمهمة اقتلاع الجبال الشامخة باظافر اليدين! وقال ان الاوان قد آن لكي استفيق من احلامي وان انزل الى ارض الواقع وابتعد عن بحر المثالية. فالقبلية والطائفية ومختلف انواع العصبيات البغيضة لاتزال تعشش في الكثير من العقول والانفس ولاتزال جذورها قوية متشبثة في الارض تابى الخروج الى النور هذا بالرغم من كل ما مررنا به من تقدم ثقافي وعلمي وما حصلنا عليه من انفتاح على العالم وثقافاته اضافة الى ما عانيناه ولانزال من شرور من جراء انتشار كل تلك العادات القبلية والعنصرية في المجتمع. وقال انني يجب ان «لا اغتر» بما اراه من مظاهر حضارية هنا وهناك، وان لا انخدع بما المسه من تحضر وثقافة وعلم عند فلان او فلتان، فهي امور سرعان ما تختفي بمجرد بروز اطراف قرون الطائفية والقبلية والعصبية البغيضة.

قرأت رسالة الفاكس التي ارسلها واعدت قراءتها مرات عديدة، وكدت اقتنع بوجهة نظره فكل ما ذكره صحيح ومن الصعب انكاره، وبدأ القلم يتراخى في يدي واصبح شبه آيل للسقوط من بين اصابعي، فقد جعلتني رسالته تلك اشعر باحباط غريب، وخاصة عندما قال فيها انه، لولا ما يشكو منه من اعاقة، ومن كبر في النفس والسن، لغادر هذا البلد الى الابد وتركه وما فيه من عباد لرب العباد بسبب ما يعانيه كل يوم ويشعر به من ظلم للفكر والعقل.

اتصلت به وقلت له انني سأصمد وسأحارب وسأستمر في مهمة اقتلاع «الجبال الشامخة» باظافري، وحسبي ان اتمكن من تكسير ولو جزء صغير منها بحجم الاصبع واملي ان يأتي من بعدي من يضع اصبع ديناميت في تلك الفجوة الصغيرة التي حفرتها ويفجر تلك الجبال الشامخة.

احمد الصراف